على صاحبه من ناحية علمه، أو قل من ناحية جهله! فقد أورد عليه كثيراً من الخرافات والمحالات وتلقف له جملة مما هو شائع عند العامة من الأكاذيب والأخبار، وجعل هذا كله من باب المسائل ورؤوس المعضلات، فأخذ يعابيه بها ويسأله عنها: فسأله عن الشقناق والشيصبان، ومن قيرى ومن عيرى ومن جلندى، ومن أولاد الناس من السعالى، ومتى تخزعت خزاعة، ومتى طوت المناهل طى، وما القول فى هاروت وماروت، وما عداوة ما بين الديك والغراب، وما صداقة ما بين الجن والأرضة، وما علة خلق الخنزير؟ وكيف اجتمع فى الذبابة سم وشفاء، وكيف لم تقتل الأفعى سمها، وكيف لم تحرق الشمس ما عند قرصها، ومذ كم كان الناس أمة واحدة ولغاتهم متساوية، وبعد كم بطن أسود الزنجى وابيض الصقلبى، وما عنقاء مغرب، وما أبوها وما أمها؟ وهل خلقت وحدها أم من ذكر وأنثى؟ ولم جعلوها عقيما وجعلوها أنثى. إلى آخر ما تلقفه الجاحظ من الطرائف وبلغ به مائة مسألة كلها من هذا الطراز وعلى هذا النمط، ولعل من المعلوم أنه لم يكن يطمع فى الاجابة من صاحبه بل إنه ليقول له: «وقد سألتك وإن كنت أعلم أنك لا تحسن من هذا قليلا ولا كثيراً؛ فإن أردت أن تعرف حق هذه المسائل وباطلها وما فيها خرافة وما فيها محال، وما فيها صحيح وما فيها فاسد، فألزم نفسك قراءة كتبى ولزوم بابى وابتد بتلقى التشبيه والقول بالنداء، واستبدل بالرفض الاعتزال، وأن أتنكر منعك بعد التمكين والبذل وبعد التقريع والشحذ فلا يبعد الله إلا من ظلم!»

ولا شك أن الجاحظ قد ابتدع رسالته هذه ابتداعاً، وأتى بها على غير مثال سابق فى الأدب العربى، ولا شك أنها قد جاءت قوية رائعة تعلن عن فن الرجل فى بابها، واقتداره على أمثالها. ولقد كان الجاحظ على اعتزاز بها غاية الاعتزاز، فأشار إليها بالأكبار، وأحال عليها بالأقدار (١)، واقتبس منها فى بعض ما كتب. وقد تأثر بها بعض الكتاب فحاول الخوارزمى أن يحذو حذوها فقلدها فى رسالة كتبها إلى أحد أصحابه الشعراء يعرف بالبديهى فبلغ أربا، ولكن دون ما بلغ الجاحظ بكثير. ثم جاء البديع الهمذانى فانتهج الطريق فى بعض مقاماته إذ كان يهاجى بعض أصحابه ولكن يظهر أنه نظر إلى الخوارزمى أكثر مما نظر إلى أبى عثمان فسلبه كثيراً من تعبيراته، وخرج من التعريض إلى الشتم، ونزع عن التهكم إلى السب، وبدل التلميح بالتصريح، والمزح بالتجهم، وهذا كله غير ذلك كله، فتعرف الصنفين، وافرق بين الطريقين...؟

« للكلام صلة »

محمد فهمى عبد اللطيف

(١) الحيوان ج ١ ص ١٥٠ ط الساسى

شقيـــة

للسيد عمر أبو ريشة

حثثت خطاى الحمر عن هيكل القدس
وفى حمأة الأرجاس كفرت عن رجسى
وما استعذبت نفسى الشقاء وإنما
وجدت عزاء النفس أقتل للنفس
دعونى أعب السم من أكؤس الملا
وأقضى على تلك البقية من حسى،
كفانى نفضت الكف من يانع المنى
وبعت صباى الغض بالثمن البخس!!
وما من ضحايا النار، حسناء كاعب
عليها جلال الحسن فى العرى واللبس
تمشت ونفحات المحاجر حولها
ومن خلفها الكهان خافتة الجرس
ولما ذكت فى المذبح النار تمتمت
مصليّة والضرس يقرع بالضرس
وزجّت بها عريانة فتفجرت
جراح وقطرات الدما صبغة النفس
وفى كل جرح فوهة من جهنم
تولول كالريح المؤججة البأس
بأهلك منى عند فضّ مآزرى
على مذبح الشهوات للصبح الممسى!!
يؤرقنى الماضى فأنشر طرسه
وألسنة الآلام تقرأ فى الطرس
وأهجس والأشباح تعتام ناظرى
فيرتد إشفاقاً فأقصر من هجسى
وأزجر دمعى أن يثور وزفرتى
فلا دمعتى تسلى، ولا زفرتى تنسى
تغرّ ابتساماتى عيون أخى الهوى
وخلف ابتساماتى جراح من البؤس
طلعت على الأيام والطهر حارسى
يحيك على عطفىّ جلبابه القدسى

تشيعني الأبصار أين توجهت
خطاى فأمشي مشية الرجل النكس
وضج بأعطافي الغرور فلم ألِنْ
لصرخة ولهان تمخضُ باليأس
كنرجسة في الحقل تلثم ساقها
ثغور من الأزهار طيبة الغرس
ولكنها ... والكبرياء تهزها
أبت أن ترى في غيرها رفعة الجنس
حنت رأسها كيما تقبل ظلها
غرورا فماتت وهي محنيّة الرأس !!
ولما رأيت الفقر أزبد فكه
وكشّر عن أنياب منهرت طلّس
صحوت فلم أبصر حواليّ راحما
يخفف من بؤسي ويطرد من تعسي
وألقتني الأقدار في كف أرعن
كما قبضت كف البخيل على الفلس
يبثُّ لي النجوى فيطربني بها
فأبني من الآمال أسأ على أس
فكنت كشاة ألفت العيش زاهرا
تروح على أنس وتغدو على أنس
يهش لهـــا الراعي فترقص حوله
فيلقمها الأعشاب بالأنمل الخمس
يسمنهـــا ... للذبح وهي تظنه
رحيما يقيها صكة الناب والضرس
فولّت أمانيّ العذابُ تلاشـــياً
كما يتلاشى الثلج من قُبلة الشمس
وضاقت بي الدنيا فهمتُ طريدة
أفتش عن سعدى فيلطمني نحسي !
فما لاح لي إلا دم متلاطم
ففي لجه أغـــدو وفي لجه أمسي
أرى عنده للإنتقام من الورى
مناهل تنسي ما أجرّع من بؤس
فرب فتى ما دنّس الخزي قلبه
نصبت له سهم الإساءة في القوس
تمطيت لاستغوائه فتثاءبت بعينيّ أفواه الدعارة والرجس!
وما خفّ للذّات حتى تركته يصارع داء قد تحفّز للغرس
إذا أنّ هزّت رعشة الأنس أضلعي وأفرحني إن لاح في صفرة الورس
فصرت إذا ما اشتدّ دائي تركته
ليعدى وإن أبصرت من خلفه رمسي !
كما النحلة الغضبي لدى وخز خصمها
تموت ... ولكن وهي مرتاحة النفس!!

(حلب) عمر أبو ريشة

أترانا فراشتين؟

للأستاذ خليل هنداوي

أتراها فراشةٌ سبحت في ... ماتج الكون والخيالُ الجناح؟
دأبها أن تهيم فوق الروابي ... يلتقيها منها الشذا الفواح
عيشها بسمة تشع ، وفيض ... من سنا اللهو ساطع وضّاح
الصباحُ الندىُّ يحنو عليها ... كل ما حولها ندى وأقاح!
ليلها دفقة من النور تمشي ... والليالي - مع الغرام - صباح

* * *

وترانى فراشةٌ حثها الشو ... ق وهمت فلم يطعها جناح
فترامت..! ولا تسل إذ ترامت! ... كان أدرى بحالها المصباح

خليل هنداوي

رسالة المنبر

إلى الشرق العربي

بقلم الأستاذ فليكس فارس

خطب وأبحاث وقصائد ترمي إلى تعزيز الرابطة العربية وإقامة حضارتها وإصلاح أسرتها
فصول عن فلسفة جبران خليل جبران وحياته
ورد على كتاب الأستاذ نعيمة فيه

يقع الكتاب في ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير، وهو مصدر بمقدمة من قلم الأستاذ الكبير عميد الرابطة العربية محمود بسيوني رئيس مجلس التيوخ، وبكلمات الآعلام المغفور له محمد رشيد رضا، والشيخ عبد الوهاب النجار، ومصطفى صادق الرافعي